﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ [محمّد ﷺ: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

مـا بعـد التَّعريض إلى التَّصريح

لمّا عرَّضت الآيات السّابقة مجرَّد تعريض باحتمال فضْحِه تعالى نفاق المنافقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾؛ أتبَعَه هنا بتهديدِهم بصريح العبارة أنَّه سيكشفُ ستره عن ضغائن نفوسهم، وسيفضحُ أحقادهم على الرَّسول ﷺ وعلى المسلمين، فينتقمون منهم بالقتل، أو بالطَّرد، أو بغيرهما، فقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾، فهو انتقال من التَّعريض إلى التَّصريح.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَسِبَ﴾: الحَسَبُ: الشَّرَف الثّابت في الآباء، رجل كريم الحَسَب حسيبٌ، وقَوْمٌ حُسَباءُ، والحِسابُ: عَدُّكَ الأشياء، والحِسابةُ مصدر قولِكَ: حَسَبْتُ حِسابةً، وأنا أَحْسُبُه حِسابًا، وحِسْبة أيضًا، والحِسبان من الظَّنِّ، حَسِبَ يحسَبُ - لغتان - حُسْبانًا[1]، فمعنى قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أم يظنُّ هؤلاء أن يديم الله تعالى عليهم ستره، وهم لا يرعوون، ولا يتوبون من نفاقهم؟.

2) ﴿أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾: الضِّغْن بالكسر: إبطُ الجَبَل، والحِضْنُ، وقَناةٌ ضَغِنَة كفَرِحة: مُعْوَجَّة، فالضِّغن: غؤور أو امتداد في داخل جِرْم كثيف: كإبط الجبل، وحَنْية القناة، والضِّغْنُ: الحِقْدُ والعداوة والبغضاء المستكنَّة في النَّفس، وهي مشاعر غليظة، ضَغِنَ الرَّجلُ على وزن تعب: وغِرَ صَدْرُه،

(1) الخليل، العين: (حسب).

ودَوِيَ، واضطَغن فلان على فلان ضغينة: اضطَمرها، ومعنى ﴿وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧﴾ [محمد ﷺ: 37]: يُثِرْ، ويولِّد الكراهة والحقد؛ بسبب شحِّ النَّفس بالمال[1]، فمعنى ﴿يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾: يفضح أحقادكم على الدّين والرَّسول، ويكشف أسراركم الخبيثة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المنافقون أولى بالفضْحِ، وهم أجدر بالكشف

تُبيِّن الآية الكريمة ما يظنُّه هؤلاء المنافقون أنَّ بغضهم المكتومَ للدّين، وحقدهم الدَّفين على الرَّسول ﷺ وصحْبه الكريم يظلُّ مستورًا، لا يُطْلِع الله تعالى عليه المؤمنين، فيتمكَّن هؤلاء المنافقون من الكيد للدّين والتَّبييت لأهله، ولا يَفطن إليهم أحد، وقد "جعل الله ﷻ في إظهار ما أسرَّ أهل النِّفاق وإبداء ما أخفوه فيما بينهم آيةً عظيمة، ودلالة ظاهرة على رسالة رسوله ﷺ"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوع ﴿أَمۡ﴾ ودلالتها:

إظهار الله تعالى أسرار المنافقين آيةٌ عظيمة ظاهرة على رسالته ﷺ

﴿أَمۡ﴾ في جملة: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ هي ﴿أَمۡ﴾ المنقطعة، الَّتي بمعنى (بل)، وفيها إضراب انتقاليٌّ من التَّهديد والوعيد بإحباط العمل، وما يستلزمه مِن عقاب عند الموت، ومن التَّعريض بِفَضْح نفاقهم، إلى التَّهديد بفضح أسرارهم فعلًا، وإظهار مضمرات نفوسهم.

غرضُ الاستفهام وبلاغته:

ستْرُ الله تعالى لا يدوم على منافق، وفضْحُه عمّا قليلٍ قائمٌ

دخلت ﴿أَمۡ﴾ على استفهام مضمر؛ ليصحَّ العطف هنا، والمعنى: "بل أحسبَ الَّذين في قلوبهم حقد وعداوةٌ للمؤمنين أنَّه لن يُخرجَ الله أحقادَهم؟"[3] كلّا، بل سيفضح أضغانهم، ويظهر نفاقهم؛ إن

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ضغن).
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 281.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 100.

لم يتوبوا منه، ويعودوا إلى الدّين الحقِّ، فهو استفهام "للإنكار"[1]، والتَّكذيب لهذا الزَّعْم، والتَّوبيخ لِفساد معتقدهم، وإلى ذلك يفيد الاستفهام هنا أنَّ نفاقهم قد فاق الحدود كلَّها في الخُبث، والإضرار بالدّين والرَّسول والمؤمنين، وأنَّه "ممّا لا يكادُ يدخلُ تحتَ الاحتمال"[2].

دلالة استعمال مفردة الحِسبان مادَّة وصيغة:

الأوهـــام هي الموقعة في باطل الأفهام

آثر النَّظم الكريم استعمال مفردة الحِسبان، في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وهو من الظَّنِّ الخاطئ، المؤسَّس على غير اعتقادٍ صحيح، والمعنى: أظنَّ هؤلاء المنافقون دوامَ ذلك السِّتر على ما في قلوبهم من حقدٍ على الدّين وعلى الرَّسول ﷺ؟ وتدلُّ صيغة المُضيِّ في الفعل ﴿حَسِبَ﴾ على أنَّ المنافقين قد جهِدوا في إخفائه حينًا من الزَّمن، وأنَّهم قد صدقوا أنفسهم وأولياءهم بأنَّ نفاقهم سيظلُّ خفيًّا على المؤمنين، وأنَّ ذلك الظَّنَّ قد استقرَّ في نفوسهم حتّى قرَعهم هذا التَّهديدُ المُزَلْزِل.

علَّةُ التَّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

التَّعبير بالموصول يهيِّئ التَّركيب لما لا يهيِّئه له الاسم الصَّريح

الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، يُتيح ما لا يتيحه الاسم الصَّريح (المنافقون) من دلالات جملة الصِّلة، فإنَّ صلة الموصول جاء فيها ذِكرُ مرض قلوبهم، وتنكيرُه، وتقديمُ الجار والمجرور ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾.

دلالةُ حرف الظَّرفيَّة:

قلوبُ المنافقين لأمراض النِّفاق كأوعية المخزونات الحسّيَّة

﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ظرفيَّة، توحي بأنَّ قلوبهم صارت لأمراض النِّفاق والكفر كالأوعية للمخزونات الحسّيَّة، وأنَّ النِّفاق والكفر قد استقرّا ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾ وثبتا، وهي تُشير

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 120.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 101.

إلى تغلغل هذه الأمراض في القلوب، ممّا يستدعي منهم الوجل والخوف من ذلك، فيسارعون إلى علاجها قبل الموت الماحق.

بلاغةُ الاستعارة في لفظ ﴿مَّرَضٌ﴾:

المقصود بـ ﴿مَّرَضٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ، أو: نِفاق[1]، أي: "في قلوبهم شكٌّ في دينهم وضعف في يقينهم، فهُم حيارى في معرفة الحقِّ"[2]، فشبَّه النِّفاق بالمرض على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة الأصليَّة، بجامع الإضرار بصاحبه، ولِكون الكُفر مقرُّه العقل المعبَّر عنه بالقلب؛ كان ذِكر القلوب مع المرض ترشيحًا للاستعارة؛ لأنَّ القلب ممّا يُناسب المرضَ الخفيَّ؛ إذ هو عضوٌ باطن؛ فناسب المرض الخفيَّ، والمعنى أنَّه يخرجها من قلوبهم[3].

النِّفاق مرضٌ خفيٌّ يُناسب أن يكون في العضو الخفيِّ

وفي تلك الاستعارة مزيد إيضاح لِقوَّة تأثير النِّفاق في انحراف القلوب عن سبيلها القويم، وتعطيله إيّاها عن القيام بمهمَّتها من اليقين بتوحيد الله تعالى، وسلوك صراطه المستقيم.

نكتة تنكير ﴿مَّرَضٌ﴾:

نُكِّر لفظ ﴿مَّرَضٌ﴾ دلالة على خطورة النِّفاق، وشدَّة إتلافه لاستقامة القلوب وتلويثه لِطُهر النُّفوس، فهو ﴿مَّرَضٌ﴾ خطير منكَر فظيع، فالتَّنكير لتعظيم خطر هذا النِّفاق.

نوع ﴿أَن﴾ ودلالتها:

﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ هي ﴿أَن﴾ المخفَّفة من الثَّقيلة؛ إذ تُؤكِّد اعتقادَ المنافقين دوامَ خفاء نفاقهم وحقدهم على الدّين، فكشف الله تعالى ذلك الاعتقاد، وفَضَحه عليهم، وهدَّدهم بكشف جميع أضغانهم،

المنافقون يَعتقدون دوامَ خفاء نفاقهم

(1) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 304.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 221.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 120.

وذلك خطير عليهم؛ لأنَّه يستعدي على الفتكِ بهم، وهي توحي باستحالة إخراج الأضغان فيما يحسبه المنافقون، فهي دالَّة على استخفاف عقولهم، وضعف أفئدتهم.

نكتة النَّفي بأداة ﴿لَّن﴾:

السِّتر يدوم لمن طلب دوامه مؤمنًا بالله مُقبلًا عليه

﴿لَّن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ تفيد النَّفي في المستقبل، أي: إنَّ المنافقين يطمَعون في إدامة السِّتر عليهم، وعدم فضْح نفاقهم أبدًا فيما يُستقبل من الزَّمن، فهي كناية عن الأمن من الفضيحة.

وذلك ما أنكره الله تعالى عليهم، وكذَّبهم فيه، فالله تعالى يستر عباده؛ حتى يتوبوا، لكنَّه لا يديم السِّتر؛ إذا تمادى العباد في الكفر والنِّفاق والفجور، وإنَّما يُديمه على التَّائبين الصَّادقين، تلك سنَّة الله تعالى في خلقه، وهي سارية عليهم كسريانها على غيرهم.

بلاغةُ الاستعارة في فعل ﴿يُخۡرِجَ﴾:

فضْحُ المنافقين ظاهرٌ لكلِّ مبصر، بيِّنٌ لكلِّ ناظر

الإخراج في اللُّغة "استلالُ شيء مِن مكمنه، فاستُعير هنا للإعلام بخبرٍ خفيٍّ"[1]، فالمقصود بالإخراج في قوله تعالى: ﴿أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ الإظهار والإبراز والكشف والفضح، فشُبِّه ذلك كلُّه بالإخراج والاستلال على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، أي: "يظهر الله ذلك مِن سِتر الكتمان"[2]، ويبرزه "لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، ويظهره على نفاقهم وعداوتهم لهم، وكانت صدورهم تغلي حنقًا عليهم"[3]، واستعمال فعل ﴿يُخۡرِجَ﴾؛ لبيان الأمر بمشهد حسّيٍّ لا يخفى على متأمِّل.

دلالةُ التَّعبير بصيغة المضارع:

تَدعَم المضارعة في الفعل ﴿يُخۡرِجَ﴾، في قوله تعالى: ﴿أَن لَّن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 120.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 128.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 327 (بتصرف).

كلَّما تجدَّد نزول سورة؛ تجدَّدت الفضائح بالتَّدقيق في الملامح

﴿يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾، تهديدَ المنافقين بكشف فضائحهم، وإطلاع الرَّسول ﷺ والمؤمنين على ضغائنهم وأحقادهم، وأنَّ ذلك الإظهار والفضح سيكونان متجدِّدَين متتابعَين من غير توقُّف، فكلَّما نزلت سورةٌ؛ تجدَّدت فضائحهم، وظهرت ملامح شخصيّاتهم.

دلالةُ إسناد فعل الإخراج إلى اسم الجلالة:

من يفضحه الله تعالى لا يستره شيء

في إسناد فعل الإخراج إلى الاسم الجليل في قوله تعالى: ﴿أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ مزيدُ تَهديد، وعظيم زجرٍ عن إضمار النِّفاق واحتضان الكفر في القلوب؛ لأنَّ من يفضحه اللّٰه تعالى لا يستره شيء، بالإضافة إلى ما للاسم الجليل من جلالٍ عظيم، فإذا كان المخرِجُ هو اللّٰه ﷻ؛ كان إخراجه إخراج إذلال وإهانة.

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾:

التَّعريضُ بإهلاك المنافقين بعد إخراج الضَّغائن

الأضغان في جملة: ﴿يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ جمع ضِغْن، وهو الحِقْدُ والعداوة والبغضاء المستكنَّة في النَّفس، وهي مشاعر غليظة[1]، وفي التَّهديد - بأن يخرج اللّٰه تعالى تلك الأحقاد والعداوات والبغضاء - كناية عن إهلاكهم وإبادتهم على أيدي المؤمنين؛ لأنَّه يستلزمه، فضلًا عمّا في إخراجها من إخزائهم وإخجالهم، ممّا يَحُطُّ شأنَهم حطًّا.

دلالةُ الإضافة في ﴿أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾:

ساءت ظواهر المنافقين، وساءت سرائرهم

في إضافة الأضغان إلى ضمير المنافقين، في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾، إضفاءٌ لمعاني القبح والبشاعة والخطورة بقدر قبح المضاف إليه وبشاعة فعله، وخطورة نفاقه، وتلك (أضغان) تليق بهم، وتتَّسق مع اسوداد قلوبهم، وإظلام نفوسهم الشِّرّيرة، والإضافة في قوله: ﴿أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ بمعنى اللّام، أي: أضغان لهم.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ضغن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"